وبانا مل حقيق والذى يظهر فى المسالة ان الظاهر من تتبع احوال
الشارع واقول ان بعض الفوايد والاثار قد يكون اتم اهتماما
بشانه واعتدادا بحصوله ورضى بوقوعه وترتبه وامثلته لا يخفى
على الفطن المتدبر فيمكن ان يكون المقصود حصر الفوايد والصفات
التى هى على هذا المنوال فليس للارسال فايدة من الفوايد المرضية
المهتم بها اتم اهتماما ورضى الا ذلك لا الغضب لا يقال ارسال
الانبيا كلها كذلك فما وجه التخصيص بنبينا صلى الله عليه وسلم على ما يدل
عليه السياق لانا نقول بعد التنزل الا اختصاص من جهة عموم المرحومين
فانه خاصة بعث على كافة الناس بشيرا ونذيرا كما هو المنصوص ومما
دل على هذا ما علم من الشارع من ان ايمان واحد اكد واطيب عند الله
تعالى من قتل الكفار والله تعالى يفرح بتوبة العبد الى غير ذلك مما لا حاجة
له الى البيان وهل يمكن ان يكون بعض الفوايد مقصودة لله تعالى لى
والاخر بالتبعية بمعنى ان يكون القصد الاصلى الى تحصيل شى لكنه لا
ينفك عن الاخر فقصد الاخر بتبعية ذلك محل تامل على قواعد اهل
السنة وان جاز فهل هو فيما نحن فيه كذلك محل تدبر بل الظاهر من تتبع
الاحاديث وكلام المشايخ خلاف ذلك فانه كما ان صفات الجمال
تقتضى اللطف كذلك صفات الجلال تقتضى القهر من غير تبعية
فلينا مل فى هذا المقام فان جاز وجاز فيما نحن فيه فيمكن تاويل الحصر
بذلك الا ان حمل التوجيه الثانى الذى اختاره القاضى نابعا لا اصله
عليه بعيد جدا الا ان رحمة الكفار وسعادتهم غير مقصود اصلا فلا
يصح ان يقال المقصود بالذات مما بعث به اسعاد الكفار والمومن
وهداية العالمين فتدبر ولك ان تقول معظم ما يترتب عليه وينشا
به هو واكثرهما وقوعا هو الرحمة فان كل غضب معه وجود الرحمة

وان

وان نقول معظم ما طلب منه واكثره ذلك والمراد بالاكثرية ان الامر
والارادة تعلقت بان يكون اكثر ما يقع منه ويترتب على الارسال هو الرحمة
فيجوز ان يكون الحصر حصرا للمعظم والاكثر او لمعظم ما يطلب منه
او الاكثر فالمطلوب حقيقة غلبة الرحمة فليتدبر ويجوز ان يكون
الحصر على التشبيه او المبالغة ايهاما ما لان غير الرحمة بمنزلة العدم
فكانه لا فايدة او لا صفة الا الرحمة او على تشبيه غير الغرض بالغرض
ثم الحصر فيه بمعنى ان الذى يشبه الغرض لا غير وهذا المعنى ادق
وابلغ وقريب مما ذكره الامام الرازى فى تفسير وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون حيث قال لما كان العبادة اصل المقاصد
وكان ساير المقاصد بالنسبة اليه كالعدم قال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون فتدبره وعلى احد هذين الوجهين يمكن اتمام
ما نقلناه عن بعض العلما من اقتضاء صفة الرحمة اياه فليدرك
وعلى هذه الوجوه يحمل حديث انا بعثت رحمة لا عذابا ثم اقول هنا
وجه اخر قريب من اللفظ وتوجيه كلام بل هو الوجه عند رعاية
الظواهر وهو ان يكون المنفى الغضب عن العالمين بان يغضب
عليهم جميعا فى الجملة او لا يرحم بعضهم اصلا اى ما ارسلناك الا حال
كونك رحمة على الكل لا غضبا عليهم او الا لفايدة الرحمة على الكل لا
الغضب عليهم فالثابت هو الرحمة على الكل والنفى هو الغضب على
الكل او مجرد الغضب على البعض ولا ينافى ذلك الغضب على البعض فى
الجملة فيلزم من اثبات الرحمة على الكل ولو فى الجملة نفى الغضب من
جميع الوجوه على الكل او البعض وهو ظاهر لكن يبقى احتمال الغضب
فى الجملة على المجموع او على بعض فبالحصر نفى الغضب فى الجملة على المجموع
لان مفاده ان لم يتعلق بالمجموع الا الرحمة فيلزم عدم تعلق الغضب

Copyright © King Saud University